

ثورة المودعين بين "الشاطر بشطارتو" وخرق القوانين بأسس وخوف من سيادة شريعة الغاب

ظاهرة اقتحام المودعين للمصارف واجبار الموظفين تحت تهديد السلاح على استرداد جزء من ودائعهم المحجوزة او ما "تيسر" منها، بحجج الضغوط المعيشية المتفاقمة، غدت مسلسلًا متكررا يخشى ان يتمدد، في ظل ما تلقاه هذه الخطوة من تعاطف وتأييد كبيرين، لاسيما عندما تكون حجة المودع الحصول على ماله لمعالجة احد افراد العائلة

"بس ينفقد العدل بالبلد بدك تاخذ حقلك بايدك، ما في خيارات اخرى"، عبارة تتردد كثيرا على مسامعنا في ايامنا هذه، امام شعار استرداد الحقوق الذي ينادي به المودعون بغية الحصول على اموالهم وجنى عمرهم، في ظل غياب عدالة لا تفلح القوانين في تحقيقها.

بالقوة والسلاح والتهديد، بأسلحة حقيقية او مجرد لعب بلاستيكية، قد يحصل البعض على امواله المودعة في المصارف ليتحول المودع - الذي هو في الاساس ضحية - الى مرتكب عبر اقتحام المصارف. اما الخشية، فهي ان تعمم هذه الافعال الى فوضى يومية وان تنسحب على القطاعات الاخرى متى قرر ان يتحول اي شخص الى "روبن هود" للحصول على حقه.

انقسمت الاراء حيال هذه الاقتحامات، البعض وصف المعتدين بـ"الابطال"، مستندين الى تعاطف ودعم شعبي على منصات التواصل الاجتماعي في ظل ازمة جعلت اموال المودعين مجهولة المصير، فيما وضع البعض الاخر هذه الافعال في خانة المخطط المدروس تمهيدا لخضات امنية، ولمزيد من الفوضى مع تسابق الاستحقاقات السياسية من دون اي افق للحل.

القطاع المصرفي يراها مفبركة ومغطاة بالشغب والشعبوية والتعدي، اما المودعون فيرون انفسهم امام خيار صعب. بالنسبة الى القضاء فهو غير متجاوب، اذ لا احكام واضحة ونهائية ومبرمة قابلة للتنفيذ، صادرة عن المحاكم اللبنانية في موضوع تحرير ودائع المودعين، في ظل تفسيرات متعددة للقانون اللبناني بسبب السابقة

التالية: لدى المصارف الملاءة الكافية، الا انه ليس لديها السيولة النقدية الكافية لاستيعاب طلبات جميع المودعين. الذنب هنا بطبيعة الحال ليس ذنب المودع الذي بات يعاني من ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة على الرغم من امتلاكه الاموال والاف الدولارات، لكن مع وقف التنفيذ. فمئذ حوالي 3 سنوات، فرضت المصارف اللبنانية قيودا على عمليات السحب بالدولار واحتجزت اموال المودعين قسرا، فيما خسرت الودائع بالليرة قيمتها بفعل الارتفاع المستمر لسعر صرف الدولار في السوق السوداء.

كذلك لا يجد المودعون، بحسب تعبيرهم، سوى اللامبالاة المعجمة عند معظم المسؤولين السياسيين الذين عجزوا على مدى ثلاث سنوات عن ايجاد حلول عادلة ومنصفة لمئات الالاف من المودعين، فيما على الجميع تحمل المسؤولية للخروج من المأزق الذي يعيشه المواطن اللبناني.

لكن اسئلة كثيرة تطرح امام مسلسل الاقتحامات المرجح ان يتفاقم يوما بعد يوم، اذا ما استمر التدهور بقيمة الليرة اللبنانية الذي يؤثر تلقائيا على قيمة الودائع التي تفرض المصارف سحبها بالليرة، وفق سعر صرف لا يوازي قيمتها الفعلية: ماذا عن التفلت الامني؟ ماذا عن احوال موظفي المصارف الذين يعيشون في خوف ورعب عند حصول كل عملية اقتحام؟ ما مصير اموال المودعين الذين لم يستخدموا القوة لاسترجاع اموالهم؟ هل تحول لبنان الى ما يشبه الغابة حيث القانون بات عاجزا والحق يؤخذ باليد؟ هل هو انذار للجميع بأن الانفجار الاجتماعي اصبح قريبا من

خلال الفوضى المتنقلة، فيما الدعوة باتت ملحة للبدء باصلاحات من مكان ما؟ لا شك في ان السلوك الفردي قد يتحول الى حركة واسعة في ظل التجاهل الكامل لمطالب المودعين، فيما عمليات استيفاء الحق شخصيا وتحصيل المدخرات باليد، ستتحوّل حتما الى ظاهرة بعد ان نجح البعض في تنفيذها وحصل ودائعه او جزءا منها، الا ان لا شيء يبرر هذا السلوك في وقت لم يتجرأ مئات الالاف من المودعين على خرق القوانين والاعراف. صحيح انه مطلب محق، لكن ما يحدث من تهديد بالسلاح واحتجاز رهائن جريمة يعاقب عليها القانون، الا انها تعتبر وفق رأي بعض المودعين نتيجة لتقصير عن وضع خطة استراتيجية لتحرير الودائع واعطاء المودعين حقوقهم.

امام الازمة المتفاقمة التي يمر فيها لبنان، لا ينكر احد ان المواطن اللبناني يعيش في حالة فقدان الامل في تحقيق اي امر، بعد ان ارخت الصعوبات والتحديات بثقلها على يومياته حتى باتت الخيارات المتاحة امامه محدودة، وهنا تختلف قدرة التحمل بين شخص وآخر.

في هذا الاطار، اجرت "الامن العام" حوارا مع الاختصاصية النفسية دلال بوخليل حول الدوافع المحتملة وراء تكرار مشهد الاقتحامات للمصارف، وهل يبرر علم النفس هذه الافعال، وما هي عواقبها النفسية على المجتمع ككل؟

■ ما الذي يدفع اليوم المودع اللبناني الى اقتحام المصارف من اجل الحصول على وديعته بالقوة؟



الاختصاصية النفسية دلال بوخليل.

□ بداية، من الضروري الاشارة الى ان المواطن اللبناني يعاني اليوم من تراكمات في الازمات اثرت عليه بشكل كبير، من الثورة الى جائحة كورونا وصولا الى الازمة الاقتصادية. اللبنانيون جميعا اليوم يعانون من الاحباط، ان لم نقل اليأس. وقد ادرك المواطن اللبناني انه فقد كل ما يملك في وقت لا تستجاب مطالبه الحياتية من استشفائية ومالية وغيرها ولا من يسمع، فيما تقابل بالامبالاة واضحة على اكثر من مستوى. لقد وصل به الامر الى مرحلة بات يقول فيها "ما عندي شي اخسرو"، بعد ان خسر تقريبا كل شيء. هذا ما نراه اليوم في ظاهرة اقتحام المصارف من مودع لم يجد سوى هذه العدوانية حتى يحصل على ما تبقى من امواله، متخوفا من عدم الحصول عليها في ظل غموض يسيطر على اوضاع البلد، فيما التصرف بعدوانية بالنسبة اليه هو مثابة "الخرطوشة الاخيرة". في الخلاصة، ان ما يحرك المودع اللبناني الذي يقتحم المصرف هو اليأس وعدم الامان.

■ هل هناك نمطية في تحرك المودعين نحو المصارف؟
□ انهم ينطلقون من مقولة "القبضاي

في لبنان حالة شاملة من اليأس والاحباط

تبرر هذه الافعال، الا انها ويا للأسف تصبح مع الوقت نمط حياة.

■ الى اي حد تبرر هذه الاسباب النفسية خرق القوانين؟
□ وصل المواطن اللبناني الى هذه المرحلة لأن لا احد يستمع الى مطالبه الحياتية. هناك حالة يأس واحباط شاملة في لبنان، مما يدفع بعض اللبنانيين الى التصرف بهذه الطريقة، التي اعود واكرر ان لا شيء يبررها.

■ قيل ان هناك من يحرك بعض المودعين للقيام بهذه الافعال، كيف يمكن التأثير عليهم اذا صحت هذه الفرضية؟
□ من يقوم بهذه الافعال يعتبر ان ليس هناك من شيء يخسره وفق مقولة "علي وعلى اعدائي"، وبالتالي اذا كان هناك من يدفعه هؤلاء الاشخاص الى القيام بها، فهو سينجح حتما بتحريضهم لأن اليأس يسيطر عليهم.

■ تقولين ان اليأس يسيطر على اللبنانيين، لكن ما الذي يدفع البعض منهم الى هذا الطريق دون سواهم؟

□ يختلف الاضطراب السلوكي بين شخص وآخر، وعندما تصل الامور الى حد تفوق فيه قدرته على التحمل يتجه الى هذا السلوك. كما ان هناك اشخاصا يتأقلمون مع الوضع الذي طرأ على حياتهم. قد تختلف طريقة تعامل الاشخاص مع المشاكل التي يواجهونها، كما تختلف ردود فعلهم وتصرفاتهم عند مواجهتهم للصعوبات اليومية. فقد تأتي ردود فعل بعض الاشخاص على هذه المشاكل سريعة، ومنهم من يفكر ويخطط قبل التصرف. هناك من يتحلى بالصبر الذي يساعده على صعوبات الحياة، فيما هناك من لا يملك الحد الادنى منها. في الخلاصة، تندرج هذه الحالات ضمن ما يسمى السلوك الاضطرابي الذي يعاني منه الانسان، مما يدفعه الى التصرف بشكل مخالف للاصول والطبيعة.